٣- تعظيم شعائر اللَّه وحرماته تعالى

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم النبيين، وسيد الأولين والآخرين؛ نبينا، وإمامنا؛ محمد بن عبداللَّه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن تعظيم شعائر اللَّه تعالى، وتعظيم حرماته من أجلِّ العبادات التي تدل على تعظيم العبد للَّه، وإجلاله، وتدل على محبته، وتعظيم ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه سبحانه، وتدل أيضاً على كمال التقوى في القلوب، وهذا خير للعبد في الدنيا والآخرة، وتعظيم شعائر اللَّه، وحرماته باختصار على النحو الآتي:

١- شعائر اللَّه: هي أوامره، وهي أعلام دينه الظاهرة، وتعظيمها: إجلالها، وتكميلها على أكمل وجه يقدر عليه العبد، وهذا دليل واضح، وبرهان قاطع على التقوى، والإيمان الصحيح الكامل، قال اللَّه ﷻ: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[(١)].

قال ابن الأثير رحمه الله: «قد تكرر في الحديث ذكر (الشعائر) وشعائر الحج: آثاره، وعلاماته، جمع شعيرة، وقيل: هو كل ما كان من أعماله : كالوقوف، والطواف، والسعي، والرمي، والذبح، وغير ذلك، وقال الأزهري: الشعائر: المعالم التي ندب اللَّه إليها، وأمر بالقيام عليها، ومنه سُمِّي المشعر الحرام؛ لأنه معلم للعبادة وموضع، ومنه حديث [زيد بن خالد الجهني، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**جاءني جبريل، فقال: يا محمد، مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية؛ فإنها من شعار الحج**»][(٢)].

ومنه: (إشعار البدن)، وهو أن يشقَّ أحد جَنْبَتَي سنام البدنة حتى يسيل

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٢) ابن ماجه، كتاب المناسك، باب رفع الصوت بالتلبية، برقم ٢٩٢٣، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣/١٦، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٨٣٠.

دمها، ويجعل ذلك لها علامة تعرف بها أنها هديٌ ...»[١].

والشعار: علامة القوم في الحرب، وهو ما ينادون به؛ ليعرف بعضهم بعضاً، والعيد شعار من شعائر الإسلام،..**والشعائر**: **أعلام الحج**، وأفعاله .. **والمشاعر**: **مواضع المناسك**، والمشعر الحرام :جبل بآخر مزدلفة، واسمه قُزَح ...»[٢].

وقيل: شعائر اللَّه: يعني مناسك الحج، وقال الزجاج في شعائر اللَّه: يعني **بها جميع متعبدات اللَّه التي أشعرها اللَّه: أي جعلها أعلاماً لنا**، وهي كل ما كان من موقف، أو سعي ، أو ذبح ، وإنما قيل: شعائر اللَّه لكل علم مما تُعبِّد به؛ لأن قولهم: شعرت به: علمته؛ فلهذا سميت الأعلام التي هي مُتَعَبَّدات اللَّه تعالى شعائر، والمشاعر مواضع المناسك[٣].

وقال الراغب الاصفهاني رحمه الله: «ومشاعر الحج: معالمه الظاهرة للحواس، و الواحد مشعر، ويقال: شعائر الحج، الواحد: شعيرة، قال اللَّه تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ**﴾[٤]، وقال جل جلاله:﴿**فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْـمَشْعَرِ الْـحَرَامِ** ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿**لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ**﴾[٦]،أي ما يُهدى إلى بيت اللَّه، وسُمِّي بذلك؛ لأنها تشعر: أي تُعلَّم بأن تُدْمَى بشعيرة: أي حديدة يشعر بها[٧].

وقال الإمام الطبري رحمه الله: «﴿**ذلك ومن يعظِّم شعائر اللَّه فإنها من تقوى القلوب** ﴾: يقول تعالى ذكره: هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس، وأمرتكم به، من اجتناب الرجس من الأوثان، واجتناب قول الزور حنفاء لله، وتعظيم شعائر اللَّه، وهو استحسان البدن، واستسمانها، وأداء مناسك الحج على ما

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ٢/٤٧٩، ببعض التصرف.
(٢) انظر: المصباح المنير، للفيومي، ١/ ٣١٥.
(٣) لسان العرب، لابن منظور، ٤/١١٤ -٤١٥.
(٤) سورة الحج، الآية: ٣٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٧) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤٥٦.

أمر الله جل ثناؤه من تقوى قلوبكم»، ثم قال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذِكْرُهُ أخبر أن تعظيم شعائره: **وهي ما جعله أعلاماً لخلقه فيما تعبَّدهم به من مناسك حجِّهم من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها، والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم من تقوى قلوبهم لم يخصص من ذلك شيئاً، فتعظيم ذلك من تقوى القلوب** ... وحقٌّ على عباده المؤمنين تعظيم جميع ذلك ... فإن تلك التعظيمة: من اجتناب الرجس من الأوثان من تقوى القلوب: .. أي فإنها من وجل القلوب من خشية الله، وحقيقة معرفتها، وإخلاص توحيده»[1].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: « ﴿**ومن يعظم شعائر الله**﴾: الشعائر جمع شعيرة، **وهو كل شيء لله تعالى فيه أمرٌ أشعر به وأعلم**، ومنه شعار القوم في الحرب: أي علاماتهم التي يتعارفون بها، ومنه إشعار البدنة، وهو الطعن في جانبها الأيمن حتى يسيل الدم، فيكون علامة، فتسمَّى شعيرة، بمعنى المشعورة، فشعائر الله: **أعلام دينه، لاسيما ما يتعلق بالمناسك** .. وأضاف التقوى إلى القلوب؛ لأن حقيقة التقوى في القلب؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في صحيح الحديث: «**التقوى ها هنا**»[2]، وأشار إلى صدره[3].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «قال ابن عباس رضي الله عنهما: شعائر الله: البُدْن، والهدي، وأصلها من الإشعار، وهو إعلامها، ليُعلم أنها هدي، وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وقيل: شعائر الله: أعلام دينه، فإنها من تقوى القلوب: أي: إن تعظيمها من تقوى القلوب»[4].

وقال ابن كثير رحمه الله: «﴿**ومن يعظم شعائر الله**﴾: أي أوامره ﴿**فإنها من**

(١) جامع البيان، ١٨/٦٢١.
(٢) مسلم، كتاب البر، باب تحريم ظلم المسلم ، برقم ٣٢-(٢٥٦٤).
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ١١/٦١ -٦٢.
(٤) تفسير البغوي، ٣/٢٨٦.

تقوى القلوب﴾، ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن، كما قال الحكم عن مقسم، عن ابن عباس: تعظيمها: استسمانها، واستحسانها»[١].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «والمراد بالشعائر: **أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها**، كما قال تعالى: **﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾**[٢]، ومنها الهدايا والقربان للبيت، وتقدّم أن معنى تعظيمها: إجلالها، والقيام بها، وتكميلها، على أكمل ما يقدر عليه العبد، ومنها الهدايا، فتعظيمها باستحسانها، واستسمانها، وأن تكون مكملة من كل وجه، فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، **فالمعظِّم لها يُبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأنّ تعظيمها تابع لإعظام الله وإجلاله**»[٣] .

وقال رحمه الله: «**﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾**[٤]: يخبر تعالى: أن الصفا والمروة ... من شعائر اللَّه: أي: **أعلام دينه الظاهرة التي تعبَّد اللَّه بها عباده**، وإذا كانا من شعائر اللَّه، فقد أمر اللَّه بتعظيم شعائره فقال: **﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾**[٥] ، فدلّ مجموع النصين أنهما من شعائر اللَّه، وأن تعظيم شعائره من تقوى القلوب، والتقوى واجبة على كل مكلَّف، **وذلك يدلّ على أن السعي بهما فرض لازم للحج والعمرة كما عليه الجمهور، ودلّت عليه الأحاديث النبوية**، وفعله النبي ﷺ وقال: «**خذوا عني مناسككم**»[٦]»[٧].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « **﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾** عام في جميع شعائر اللَّه، وقد نصَّ على أن البُدن فرد من أفراد هذا العموم داخل فيه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ١٠/٥٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٣٨.
(٤) سورة البقرة: الآية: ١٥٨.
(٥) سورة الحج: الآية، ٣٢.
(٦) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، برقم ١٢٩٧.
(٧) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٧٦.

قطعاً، وذلك في قوله: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[(١)] ، فيدخل في الآية تعظيم البُدن، واستسمانها، واستحسانها، كما قدمنا عن البخاري: أنهم كانوا يستسمنون الأضاحي، وكانوا يرون أن ذلك من تعظيم شعائر الله، وقد قدمنا أن الله صرح بأن الصفا والمروة داخلان في هذا العموم بقوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [(٢)] الآية: وأن تعظيمهما المنصوص في هذه الآية: عدم التهاون بالسعي بين الصفا والمروة ...»[(٣)].

٢- حرمات الله معاصيه ومحارمه، وتعظيمها: باجتناب المعاصي، والابتعاد عن المحرمات التي حرمها الله ﷻ، ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه، قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[(٤)]، فقال الإمام ابن جرير رحمه الله: «ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه تعظيماً منه لحدود الله أن يواقعها، وحُرَمهُ أن يستحلَّها فهو خير له عند ربه في الآخرة»[(٥)].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ أي معاصي الله وما نهى عنه، وتعظيمها: ترك ملابستها ... وذهب قوم إلى أن الحرمات هنا: البيت الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمسجد الحرام، والإحرام ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة»[(٦)].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه، ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي فله على ذلك خير كثير، وثواب جزيل، فكما [أن] على فعل الطاعات ثواب كثير

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٦.
(٢) سورة البقرة الآية: ١٥٨.
(٣) أضواء البيان، ٥/٦٩٢- ٦٩٣، وانظر: جامع البيان للطبري، ٣/٢٢٦.
(٤) سورة الحج: الآية، ٣٠.
(٥) جامع البيان، ١٨/٦١٧.
(٦) تفسير البغوي، ٣/٢٨٥ - ٢٨٦.

وأجر جزيل، كذلك على ترك المحرمات والمحظورات»[١].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: «الحرمات: المقصود هنا هي: أفعال الحج المشار إليها في قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ ويدخل في ذلك تعظيم المواضع، ... ويجمع ذلك أن تقول: الحرمات: امتثال الأمر: من فرائضه وسننه، وقوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي التعظيم خير له عند ربه من التهاون بشيء منها ...»[٢].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرنا لكم من تلكم الأحكام، وما فيها من تعظيم حرمات الله، وإجلالها وتكريمها؛ لأن تعظيم حرمات الله من الأمور المحبوبة المقربة إليه، التي من عظَّمها وأجلَّها أثابه الله ثواباً جزيلاً، وكانت خيراً له في دينه ودنياه، وأخراه عند ربه.

وحرمات الله: كلُّ ما له حرمة، وأمر باحترامه بعبادة أو غيرها: كالمناسك كلها، وكالحرم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد القيام بها: فتعظيمها: إجلالها بالقلب، ومحبتها، وتكميل العبودية فيها، غير متهاونٍ ومتكاسلٍ، ولا متثاقلٍ»[٣].

فيجب على العبد أن يعظِّم حرمات الله: باجتنابها، سواء كان ذلك في الحج أو في غيره ، ويعظم حرمات الله كما تقدم، ويدلّ على عبودية العبد لله تعالى تعظيم شعائره كما تقدم.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله: **أن استقامة القلب بشيئين:**

الأول: أن تكون محبة الله تتقدم عنده على جميع المحابّ.

الثاني: تعظيم الأمر والنهي؛ فإنه ذم من لا يعظمه، ولا يعظم أمره ونهيه

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ١٠/٥١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١١/٥٩.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٣٧.

قال سبحانه: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً﴾[(١)] ... وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي: هو أن لا يعارضا بترخيصٍ جافٍ، ولا يعارضا لتشديدٍ غالٍ، ولا يحملا على علةٍ توهن الانقياد»[(٢)].

وقد كان النبي ﷺ يربي أصحابه، بل وأمته على تعظيم شعائر الله تعالى فكان يقول ﷺ:«**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[(٣)].

وكان ﷺ يقول: «...**وصلوا كما رأيتموني أصلي**»[(٤)].

وقال ﷺ في حجة الوداع وهو يرمي جمرة العقبة: «**لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلّي لا أحجُّ بعد حجتي هذه**»[(٥)].

فمن تعظيم شعائر الله تعالى، وتعظيم حرماته: الاقتداء بالنبي ﷺ في جميع مناسك الحج، وما يعمله الحاجّ في المشاعر، وإذا قصَّر في شيء من ذلك متعمِّداً راغباً عن سنته ﷺ فليس منه في شيء، وكذلك جميع العبادات التي شرعها النبي ﷺ.

ومن تعظيم حرمات الله ﷻ الابتعاد عن جميع ما حرم الله، والابتعاد أيضاً عن محظورات الإحرام من ذلك.

ومن تتبّع أحوال النبي ﷺ ، وتأمّل في صفة حجة الوداع ظهر له تعظيم النبي ﷺ لشعائر الله، وتعظيمه لحرمات الله ﷻ .

ذكر شيخنا شيخ الإسلام الإمام المجدد عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله بعد أن ذكر آية تعظيم حرمات الله، وآية تعظيم شعائر الله قال: «... هذا كله يورث القلوب وازعاً عظيماً من تعظيم شعائر الله، ومن تعظيم حرمات

---

(١) سورة نوح، الآية: ١٣.
(٢) الوابل الصيب، لابن القيم، ص ٢٤-٢٥.
(٣) البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم١٥٢١، ومسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، برقم ١٣٥٠.
(٤) البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم ٦٠٨.
(٥) مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، برقم ١٢٩٧.

الله، حتى يكون عند العبد وازع من قلبه، ودافع من خشيته، وحافز من إيمانه إلى أداء الواجبات، وإلى ترك السيئات، وإلى الإنصاف من نفسه، وإلى أداء الأمانة: أداء الحق الذي عليه لأخيه...»[1].

والله أسأل التوفيق والإخلاص لي، ولجميع المسلمين، وأن يجعلنا جميعاً ممن يعظِّم شعائر الله، وحرماته، على الوجه الذي يرضيه عنا، وصلى الله وسلم على عبده، ورسوله، وخيرته من خلقه نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.



(١) مجموع فتاوى ابن باز، ٢/ ٢٣٠.